

ظل فكره يجمع حتى الموت !

بقلم عبد الكريم غلاب

وكان يهدف قبل هذا وذلك الى تربية الحس الثوري في الادب ، فما يزال منذ عرفته في فصل الكلية حتى جلست اليه في (كواليس) المؤتمر ينعي على الشعراء دق الطبول واللجوء الى المبالغة السخيفة واللفظ الرائع الذي لا يحمل معنى والبهرجة الزائفة التي تزري بمعنى الشعر ، وما يزال يؤمن بالتعبير الهامس حتى كان له مذهب في النقد عرف بالفن الادبي المهموس ، وقد ألف كتابا عن الادب المهموس كان من خير ما انتج .

وعرفته متحديا قوي التحدي ، فقد عاد يحمل تسع شهادات من فرنسا في الادب والنقد والموسيقى الادبية ، ولم تكن احداها تحمل اسم « الدكتوراه » فقبل له : مكانك ليس هنا ، فليس بين اساتذة الكلية غير « الدكاتير » وترك كل ما درس ليكتب رسالة عن « النقد الادبي عند العرب » ما تزال احسن ما كتب عن الموضوع ، واصبح اسمه « الدكتور محمد مندور » بدلا من : محمد مندور ، وقيل له ساعتئذ : مرحبا فانت مدرس وستصبح استاذا بعد ان تمر بمراحل الاستاذية .

وكان مدرسا ، ثم ضاق بالروتينيات ، وخرج الى الكفاح السياسي والادبي فدرس في المعاهد ، وكتب الكتب حتى بلغت الثلاثين ، ورأس تحرير الصحف والمجلات ودخل البرلمان ، وألقى المحاضرات ، وخاض معارك ادبية مع العمالقة وضدهم وما زال يكتب ويحاضر حتى قرأت له منذ بضعة ايام مقالا عن المسرح فسي روز اليوسف ، وعادت بي الذاكرة والموت يطل من عينيه في فندق بغداد ، وبحث عن مندور الذي اعرف ، فوجدت الذهن ما يزال متقدا ، ووجدت المعنى المهموس يلقي به في غير جلبة ، وبيتسم بعده ابتسامته الساذجة المعبرة ، ووجدت الفكرة الكبيرة يلقي بها في الجملة القصيرة كأنما يرسل برقيات سريعة ، ووجدت الزمان الذي رسم على وجهه الهرم ونال من جسمه كل منال ينهزم امام انتقاد الفكر ، وغزارة العلم ، وصدق التعبير .

واليوم والتاعي يقدم لي برقية نعي الاستاذ والصديق انما نعى الي كل ما عرفت في مندور كرجل فكر وادب وعلم وثقافة ، ولست ارثي مندور الانسان بمقدار ما ارثي مندور الذي اشاد للثقافة العربية مكانا مرموقا ستظل تفخر به بين الثقافات .

وعزاء للارملة الشاعرة ملك عبد العزيز .

عبد الكريم غلاب

الرباط (المغرب)

حينما نعي التاعي السي استاذي وصديقي الدكتور محمد مندور ، ارتسمت امامي صورتان طافحتان بالتعبير ، صورة محمد مندور في ابهاء كلية الاداب بالقاهرة ، وهو يومئذ رجل قوي الجسم مفتول العضلات وقاد الذهن ، وقد عاد من غربته الدراسية بفرسا ، فملا الاسماع وملا العقول ، واقتحم الميدان العلمي اقتحام من يحمل رسالة يسعده ان يؤديها . وصورة محمد مندور في ابهاء مؤتمر الادباء العرب بالعراق في النصف الثاني من فبراير شباط الماضي ، وهو يومئذ شيخ بطيء الخطا ، زائغ النظرات ، منهوك الجسم ، مهموس الصوت ، مرتعش اليد .

وقد بكى قلبي لمحمد مندور وانا اقدم اليه التلميذ الصديق فينعم النظر ويحد الذهن قبل ان يتعرف علي ، فقد ادركت يومئذ ان الرجل انتهى ، لان الموت ساعتئذ كان يطل من عينيه ، ولو ان التحدي كان ما يزال يظهر فسي الفكر للماع والذكاء الوقاد والارادة القوية فسي الحياة والتعبير المعبر للماع عن الفكرة الكبيرة باللمحة الدالة .

وجلست الى الدكتور مندور فسي سهرات طويلة الامد بعد ان كان المؤتمر ينتهي منا وننتهي منه ، فكانت فكرة من المؤتمر تفتح موضوعات السهرة ، وكان ينطلق على ضعفه ووهنه وانخفاض صوته يتحدث في الادب والثقافة ويشرح وجهات نظره في المسرح والقصة والرواية والقصيدة ، ويخوض معركة الجديد والقديم ، متجولا في الانتاج العالمي القديم والحديث متحدثا عن ادب اليونان وقصصهم ومسرحياتهم وماسيهم وملاهيهم ، منتقلا الى ادب الفرنسيين والانجليز والاطاليين والعرب ، ضاربا الامثال بعشرات الكتب والقصص والمسرحيات والقصائد والادباء والشعراء .

ونمل حديث الادب فننتقل للفكر والسياسة والرجال وتجد الرأي السليم والتوجيه النافع والثقة بالاجيال القادمة ، وتقديس الحرية ، والسمو بالديمقراطية ، واحترام كرامة الفكر ، والايمان بحرية القلم وكرامة الكاتب .

وتعود بي الذاكرة الى ايام التلمذة ، فأجلس الى استاذ الادب الفرنسي الدكتور مندور واتحسس لأول مرة حلاوة الكلمة وروعة التعبير وصدق المقارنة ، وتبهرني سعة الافق وشمولية الفكر وعمق الاطلاع .

كان استاذنا حديث العهد بالاستاذية ، ولكنه كان يهدف قبل كل شيء الى تربية الذوق في تلاميذه ، والى فتح آفاق تفكيرهم على الاداب العالمية .